قاعدة المغرب.. وتهافت دعوى الإقرار الخطير

بقلم/صالح باي الجزائري

الحمد لله رب العامين

والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدمة:

لم يكن من همي بعد كل هذا الشوط البعيد الذي قطعه علماء ودعاة وناشطو الحركة الجهادية في كشف زيف وباطل تنظيم "دولة الخلافة"، أن أنشغل بما تصدره مصانع القوم من دخان .. لأن انشغالي -أو انشغال أي ناشط عامل لدينه - بذلك يعني انشغالا عن الواجب والأولى والأهم. ورجوعا في معترك الإنجاز إلى الوراء. ونزولا بمستوى التفكير إلى دائرة العبث والفشل التي ضيعت على الأمة وقتها وبددت جهدها وأرجعت للعدو الكثير من أوراق الحياة بعد أن شارف الهلاك..

قاعدة المغرب والإقرار الخطير.. مقال لا ينقصه الجهل والظلم والحسد والتربص وسوء الأدب .. وقد صارت صفات لازمة لمن يكتبون وينتسبون إلى تنظيم الدولة، في أيامه الأخيرة، فلم يعد بين أيديهم ما يتكئون عليه من ذلك الموروث المزيف الذي كان يبدو للبعض أنه موروث أهل الطريق، ولم يلبث أن تجلى لهم زيفه على يد أهل الطريق أنفسهم، لينتقل القوم إلى التي هي أسوأ، في تهور لم يعرف التاريخ المعاصر مثله إلا نموذجا واحدا على بشاعة صفحته في تاريخ المسلمين إلا أنه يبشر بزوال هؤلاء قريبا .. ألا وهو جماعة عنتر زوابري ..

لا أستبعد أن يكون كاتب المقال "مدفوعا" من جهة يهمها التشويش على تنظيم قاعدة المغرب وأميره الشيخ أبي مصعب عبد الودود حفظه الله الذي أبى إلا أن يقول خيرا أو يصمت .. الشيخ الذي لا يفهم جهاد الدفع إلا بوحدة الصف والكلمة .. الشيخ الذي طحنته أحداث أكثر من عقدين من الزمان حفلت بصراع تاريخي ثقيل الوطأة .. ولمن لا يعرفه فإنه هو القائد التاريخي الوحيد الذي اجتمعت تحته بنادق مجاهدي الجزائر لقرابة عقد من الزمان .. وهذه بذاتها تكفي الكبار –من خصوم وأصدقاء – لأن يحترموه ويقدروه من شيخ عز على البغدادي نفسه مناجاته بالخصومة .. فكيف بصغار القوم يجاهرونه بها .. ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

وإن كان لم يسلم منهم وقار حكيم الأمة الشيخ أيمن الظواهري حفظه الله، الذي يستحي منه كل من عرفه وجالسه، والذي لن تفي الليالي ذوات العدد بتعداد فضائله أو حكاية تاريخه المليء بالحكم والعبر ..

لم تسلم منهم قاعدة يمن الإيمان والحكمة التي لو قيل لأبسط مجاهد في الجزائر: من أعقل مجاهدي العالم؟ لأجاب على البديهة: مجاهدو اليمن ..

لم يسلم منهم منطق النظاري الحلو وابتسامته البريئة التي تعلو محياه رحمه الله، لم يسلم منهم حلم ابن الربيش عليهم وتلطفه بهم رحمه الله ..

لم يسلم منهم تاريخ الجبلين الأشمين أبي قتادة وأبي محمد الحافل ببذل النفس والصبر على فراق الأهل والولد لقضية الأمة العظيمة .. بأبي وأمي هما .. السمع والبصر ..

فكيف نطمع أن يسلم من شرهم صمت الشيخ الحيي أبي مصعب؟

قلت: لا أستبعد أن يكون كاتب المقال مدفوعا من جهة يهمها التشويش على قاعدة المغرب تحديدا .. فحظ قاعدة المغرب من ظلم أتباع البغدادي لا يكاد يذكر .. وحظ قياداتها من مشروع الدولاويين في إسقاط القادة والرموز

التاريخيين -فيما نعلم- معدوم .. سيما وأن الجزائر تعتبر بعيدة عن بؤر النزاع .. ونوعا ما منسية .. ومثلها الشيشان والفليبين .. لانشغالها بجبهة مستقلة في سياقها عن سياقات الجبهات الحديثة ..

ضف إلى ذلك عنوان المقال المشحون بمعاني الترصد والتربص والرغبة الجامحة في الإسقاط .. وكأني بك يا كاتب المقال كنت تنتظر هذه اللحظة الفارقة لتبرهن لمتابعيك الافتراضيين أن ما كنت تدعيه لهم عن خفايا قيادات القاعدة بالمغرب الإسلامي. صحيح .. وصدق شيخنا أبو قتادة يوم قال عن أمثالكم: يحبون أن نكفر، ليقولوا أنهم على صواب .. فخبتم وخاب مسعاكم.

مقال قاعدة المغرب والإقرار الخطير .. لا يخرج عن سلسلة الكيد والإسقاط التي تنتهجها "دولة الخلافة" عبر أبواقها الإعلامية وغرفها المغلقة .. ولولا إسقاطها لقيمة العلماء والقادة التاريخيين لدى أتباعها لما تجرأ أمثال صاحب المقال على رفع رؤوسهم ! .. ولله الأمر .

وفتح باب التخوين على قاعدة المغرب تحديدا، وتصنيفها من مناهضي "الخلافة"، ما هو إلا محاولة لكسر حاجز الخجل من قاعدة المغرب التي ظلت بعيدة بصمتها وحكمتها عن لعب القوم .. لتصبح وجبة شهية تلوكها ألسنتهم تكفيرا وتبديعا وتفسيقا ..

ولا أستبعد شخصيا في أن يكون هذا المقال امتدادا لحملة الغدر والحسد التي شنتها "دولة خلافة" على مجاهدي الشام عقب استيلائهم على إدلب .. لتعكر عليهم صفو الانتصار .. ويضحك لذلك بشار .. فأي صوت يبارك للانتصار .. فهو عقبة أمام مخططهم الحاسد .. لذلك هم يسارعون لإسكاته ..

وعلى أية حال .. فإن ما يهمنا هنا هو أن نكشف للقارئ الكريم أن كاتب المقال من حيث هو أراد أن يثبت انحراف قاعدة الجهاد ببلاد المغرب الإسلامي .. نجده قد أثبت مصداقية ما يقو

له قادة الجهاد وعلماؤه عن جهل وغلو أتباع خلافة البغدادي .. فكانت قاصمته على يدي جهله وغلوه ..

وهذا ما سنوضحه ببراهينه في هاته الورقة .. وسيكون موجها بالدرجة الأولى إلى من لاتزال فيهم بقية من رغبة في الاحتكام إلى الشرع، من أتباع خلافة البغدادي .. ثم إلى كاتب المقال -محور الرد- عله يستحي من ربه -أولا- ثم من الناس، ويكف عنا شره، وباب الرجوع إلى الحق مفتوح لمن أراد .. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

عونك اللّٰهم.. أما بعد:

نصرة ومؤازوة لأسود الإسلام في الشام.. هكذا كان عنوان الكلمة التي ألقاها شيخنا الفاضل أبي مصعب عبد الودود -حفظه الله-:

١- مباركا فيها انتصارات المسلمين على أرض الشام.

٢- ومنوها بأمر الوحدة بين الفصائل وضرورة تفعيل جيش الفتح كخطوة مبدئية نحو ذلك.

٣- ومشيدا بكلمة الفاتح أبي محمد الجولاني حفظه الله ..

فطلع علينا طالع مقال قاعدة المغرب والاقرار الخطير .. ليملي علينا متتالية رياضية حسابية بحتة، مفادها أن قاعدة المغرب ممثلة بالشيخ أبي مصعب تزكي حلف الخيانة والصحوات -على حد زعمه- المتمثل في جيش الفتح، وتدعم وتؤيد وتثني على انحراف الجولاني المنخرط في هذا الحلف الصحوجي -على حد زعمه-، وبالتالي فإن قاعدة المغرب منحرفة، ثم في الغد من ذلك قاعدة المغرب تحارب "الخلافة" .. وهلم سحبا على مسحب الوصم بالانحراف تفسيقا وتبديعا ولم لا تكفيرا .. فهذه هي عادة القوم في استخدام مصطلح "الانحراف" الهلامي وغير المحدد ..

والسؤال المطروح هنا هو:

هل جيش الفتح حلف ردة وخيانة؟ وهل كفرت جبهة النصرة بتعاملها مع الجبهة الإسلامية وغيرها من فصائل الشام الثورية بمختلف أطيافها سواء في حلف الفتح أو غيره؟ ومن ثم يكفر أو ينحرف كل من تعاطف أو تعامل معها؟ وما هو ضابط الصحوجية عند أصحاب "دولة الخلافة"؟

لن أنهمك في جواب يحسنه كل من قرأ فتاوى العلماء الراسخين التي لم تبق لمخالف قشة يتشبث بها فضلا عن حجة يرفع بها رأسه في مقام المناظرة والحجاج والتحدي، ولم يعد ليعرض عنها إلا جاهل بليد مطبق أو مغرض مطموس البصيرة عن نور الحق ..

(راجع على سبيل المثال:

بطلان ما جاء في بيان الهيئة الشرعية لتنظيم الدولة من تكفير للجبهة الإسلامية والفصائل/ أبو عبد الرحمن الباشا

شبهات تنظيم الدولة وأنصاره والرد عليها/ د. عماد الدين خيتي - المكتب العلمي لهيئة الشام الإسلامية)

فلم تعد الإشكالية بيننا وبين القوم في تحرير فتوى، أو فهم واقع ..

الإشكالية كل الإشكالية .. في المنطق الكهنوتي الذي لا يدع القوم يفهمون أفعال الآخرين إلا بوضعها في قالب إسمنتي جامد مصنوع من أسماء خالية من حقائقها ومعانيها (منهج .. توحيد .. ولاء وبراء .. خلافة) .. ومصبوغ بصبغة القدسية والعصمة (الكتاب والسنة) زعموا .. ومحاط بأطواق من متفجرات وألغام التفسيق والتبديع والتكفير لكل منتقد أو معارض أو مخالف .. ومن هنا يؤتى القوم في مقاتلهم.

فمنتقد خلافتهم؛ منتقد للكتاب والسنة ومنهاج النبوة ..

ومن يقاتل غلوهم ويدفع شرهم وبغيهم؛ صحوجي محارب للدين ولدعوة الأنبياء والمرسلين ..

ومن فعل هذا أو ذاك فهو مرتد مقطوع بكفره ..

ومن لم يكفر الكافر - بالاجتهاد- فهو إما كافر وإما قريب منه؛ على قولين عندهم ..

أما أن يتعامل معه بأي من أنواع التعامل؛ فهو كافر مرتد عندهم قولا واحدا .. ولا كرامة!..

وهكذا في متتاليات حسابية ينتقل الفايروس لكل من دعم أو أيد أو بارك أو ناصر .. إلخ .. ثم هكذا يبقى حيز المرتدين عندهم في تضخم مستمر ..

المشكلة إذن .. في أن هؤلاء ينظرون إلى أفعالهم على أنها مقدسة بمجرد استنادها إلى الكتاب والسنة، إذن هي شرعية معصومة، ملتفتين كلية عن بشريتهم التي قد تصيب وقد تخطئ وقد تغلو وقد تجفو في فهم وتطبيق الكتاب والسنة .. وتجعل من مثل هاته الممارسات -خطئها وصوابها- محل اجتهاد .. فأساؤوا بذلك إلى الشرع إذ نسبوا إليه ما ليس منه في شيء، فأصيبت مقاتلهم وهم لا يشعرون.

هذه واحدة .. والثانية ..

أنهم يرتبون على أحكامهم الخاصة بهم، أحكاما عامة تحل محل الكتاب والسنة، لتصبح عدة القوم فتاوى إنشائية معدودة، تعلوها مسحة الغلو والتشدد الذي يحسنه كل أحد، ثم تسوق بخطب نارية كخطب العدناني تلهب العواطف وتغيب العقول .. فتهدر بسببها دماء وأموال .. ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإلى الله المشتكى ..

أقرب مثال على ما أقول:

مقال صاحبنا الذي جاء قمة في المغالاة وإلزام الغير بمقدماته الفاسدة التي لا تنتج إلا فاسدا، وبيان ذلك ما يلي..

هو مثلا يكفر جميع التكوينات التي لا تعلن مشروعا إسلاميا .. كالجيش الحر ونحوه -هكذا- بدون تفصيل أو تفريق بين مناطات الواقع الخاص لكل فصيل .. وبناء عليه فإن كل من تعامل مع هاته التكوينات فحكمه حكمهم ..

مع العلم أن مثل هذه التكوينات منها ما يعلن نفسه علمانيا .. ومنها من لا يعلن نفسه لا إسلاميا ولا علمانيا مع تبنيه لمبدأ دفع الصائل .. وهي ما تسمى بالفصائل البراغماتية .. التي تبين فيما بعد أن منها من يتلقى دعما أجنبيا وربما إملاءات وأجندات، لكن أغلبها لم تكشف خلفيته .. فلزم من هذا التفصيل أن ينظر في كل صورة وحالة وواقعة على حدة .. وقولبة الجميع في عموم واحد؛ على ما فيه، هو ضلال وإضلال، وليس من الفقه والفتوى في شيء، كما نص على ذلك الإمام القرافي ونقله عنه ابن القيم في الإعلام ..

ومن قبيل هذا .. أن يسحب الحكم إلى الأتباع بمجرد وقوع القيادة في الكفر، دون تحقيق لموقع الكفر من سلطة القيادة على الفصيل .. ودون إعمال للشروط والموانع ..

وما هذا الخلط والخبط إلا لجرأة القوم على التقدم بين يدي العلماء في كل واقعة ونازلة ..

وقد نص أهل العلم على أن قضايا الطوائف والأعيان تخضع لنظر العلماء ولا مدخل فيها للعامة ورويبضات العلم وطفيلياته لخطورتها .. وإن كان فيها من خلاف فهو مقبول سائغ، لأنه خلاف في الإلحاق وتحقيق المناط، ولا علاقة له بأصل الدين والمنهج والسنة والبدعة؛ مادامت أصول ومقدمات الاستدلال والنظر مستقيمة ..

وكل هذا .. على التسليم بأن كل ما ينسب إلى الجيش الحر – وكذا أجناسه من الفصائل الثورية التي لا ترفع شعارا إسلاميا– كفر على الحقيقة! .. ولا ننفي أن يوجد ذلك على تباين بين الفصائل .. إلا أن كثيرا مما يسميه القوم كفرا لا يكون كذلك وربما كان من الحسنات ! .. فلزم التنبيه ..

ونفس القول في قضية الجبهة الإسلامية والفصائل المنضوية تحتها ومن تعامل معهم ..

فمدعي الإقرار الخطير وأضرابه .. يحكمون على الجبهة الإسلامية –والتي تضم بذاتها عددا من الفصائل– بالكفر والردة؛ لا لبرهان سوى مجملات من الأقوال والأفعال .. ثم يبنون على ذلك تكفيرهم لكل من تعامل أو جالس أو جاور أو ناصر الجبهة الإسلامية ..

وإن حلت الجبهة نفسها أو استقال منها فصيل .. فالحكم ماض، ولا يغيره سوى التوبة إلى "خليفة المسلمين" والدخول تحت طاعته ..

وسواء أخطأت الجبهة في ممارساتها أم أصابت .. فهذا ليس بمقصود لي في هذه الورقة .. وإن كان ما يستنكر من ممارساتها -في نظر من يخالفها- لا يخرج بها عن كونها ظالمة أو متأولة أرادت الخير فأخطأته .. وإنما مقصودي هنا هو أن تكفير الجبهة بمجرد مجملات ثم طرد حكم الكفر على أي فصيل يتعامل معها لا يستقيم من جهة النظر، بل هو من الجهل والغلو بمكان ..

ثم إن من أعظم الجناية .. عدم تصور القوم -ومنهم مدعي الإقرار الخطير- للتعامل مع الكافر إلا على معنى الموالاة المكفرة، دون نظر في مضمون التعامل وسياقاته ومبرراته، ودون تفريق بين صوره الجائزة أو المحرمة التي لا تصل إلى حد الكفر! .. وهذا له نصيب من تصنيفاتهم للفصائل ..

(راجع:

بطلان ما جاء في بيان الهيئة الشرعية لتنظيم الدولة من تكفير للجبهة الإسلامية والفصائل/ أبو عبد الرحمن الباشا

شبهات تنظيم الدولة وأنصاره والرد عليها/ د. عماد الدين خيتي - المكتب العلمي لهيئة الشام الإسلامية)

وقد استعرض أهل العلم علاقات الجبهة الإسلامية وحتى علاقات أغلب الفصائل الإسلامية الكبيرة في الشام مع غيرها من الجهات التي قد تكون كافرة وقد لا تكون، فوجدوه لا يخرج عن كونه تعاونا مع الفاجر لدفع فجور أعظم منه، في سياق جهاد الدفع، وجهاد الدفع لا يشترط له شرط -حتى الراية- كما هو معلوم .. فهذا جائز، حتى وإن كان الحليف كافرا، جاز، مادامت الحاجة قائمة ومقصد دفع الأعلى بالأدنى متحققا ..

كما لم يجد أهل العلم في مضامين تلك العلاقات ولا في سياقاتها ولا دوافعها ما هو من قبيل التقرير أو الإعانة للأطراف الأخرى على ما قد يصدر منها من مكفرات، حتى يقال أنها كافرة بتولي الكفار ..

ضف إلى ذلك .. أن مناط الموالاة المكفرة لا ينضبط في مثل هذه الصور من التعامل مجردة إلا إذا انضافت إليها ملابسات وقرائن تصرفها عن ظاهر الموالاة الجائزة أو المحرمة إلى المكفرة..[1]

فلا يلزم -إذن- من عقد تعامل مع كافر -سواء أكان موادعة أو ما في معناها من حلف- أن يكون تقريرا بله موالاة له على كفره بكل حال، بل هو خاضع للمضمون ومتغير بحسب الحال والظرف والحاجة ..

وقد حالف النبي صلى الله عليه وسلم ووادع وحيد ..

فهؤلاء يهود جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم في ميثاق المدينة، أمة مع المؤمنين؛ لهم ما للمؤمنين وعليهم ما عليهم .. مراعاة منه صلى الله عليه وسلم لوحدة الصف الداخلي في مواجهة الخطر الخارجي المحدق بدولته الفتية ..

وهذه غطفان كانت وثنية تعبد اللات والعزى، فأرادها صلى الله عليه وسلم أن تنفض بينه وبين المدينة يوم الأحزاب، فشاور أصحابه في أن يعرض عليها ثلث ثمار -اقتصاد- المدينة..!

وهذه خزاعة -وقد كانت وثنية كذلك وفيها مسلمون- كانت حليفته في الرأي وعينه الأمينة، وقد أدخلها النبي صلى الله عليه وسلم في حلفه يوم الحديبية، ونصرها لما اعتدى عليها حلفاء قريش بنو بكر لأجل الميثاق، ففتح بذلك أعظم الفتوح؛ فتح مكة ..

فمقصد الشريعة إذن هو: درء أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما، وتفويت أدنى المصلحتين تحصلا لأعلاهما ..

ويشهد لهذا المعنى أيضا .. استنصار الصحابة الله للنجاشي من أن يظهر عليه ملك لا يعرف من حقهم ما كان النجاشي يعرف .. وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها من الثناء على عدل النجاشي وحسن جواره للمسلمين ما

---

[1] راجع:

بطلان ما جاء في بيان الهيئة الشرعية لتنظيم الدولة من تكفير للجبهة الإسلامية والفصائل/ ابو عبد الرحمن الباشا

وشبهات تنظيم الدولة وأنصاره والرد عليها/ د. عماد الدين خيتي – المكتب العلمي لهيئة الشام الإسلامية

يستدعي من القوم وقفة، تأمل! .. كذا سائر الوثائق السياسية التي أنشأنها النبي صلى الله عليه وسلم في حال ضعف المسلمين، فهي جديرة بتأمل القوم ليعرفوا مكانهم من الهدي النبوي .. وليس في هذا الباب نسخ على التحقيق .. ذكره شيخ الإسلام بن تيمية وغيره ..

فعقد الأحلاف والموادعات هو من صميم هدي النبي صلى الله عليه وسلم. وقد جعله العلماء من أعمال الإمامة التي للنظر فيها -بحسب الحال والمصلحة- مدخل واسع، بشرط سلامة المضمون من المعارض الذي يقطع به من نص أو إجماع ..

ولو لزم من كل حلف أو تعامل مع الكفار أن يكون تقريرا وموالاة لهم، فما هو القول في فعل نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم ..؟!!

ثم إن التحقيق الذي عليه أهل العلم المعاصرون وهو ما نص عليه الأحناف قديما في مطولاتهم، كالكاساني في بدائع الصنائع وابن الهمام في فتح القدير، أنه لا فرق في هذا الباب بين كافر أصلي ومرتد بله مسلم فاجر أو مبتدع، لأنه من أعمال الإمام المنوطة بالحال والحاجة والمصلحة لا بنوع الكفر، وهذا مع سلامة المضمون والمقصد بالتأكيد ..

وقد احتمل النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بن سلول واستعمله في شؤون دولته من حرب وتجارة، وكان منافقا معلوم النفاق عنده صلى الله عليه وسلم وعند كبار أصحابه، وليس هذا إلا لأن أمر التعامل مع الكفار -أصليين ومرتدين- من أعمال الإمامة، وأعمال الإمام منوطة بالمصلحة كما تقدم؛ لا بنوع الكفر ..

وإن فرق بعض من فرق بين المرتد والكافر الأصلي في هذا الباب، فلا يخرج بالمسألة عن كونها فقهية يسوغ فيها الخلاف، ولا دخل لها بأصل الدين ..

وقد استطردنا في هذه النقطة طلبا لبيان الأمر من أساسه، ولبيان أن مسألة العلاقات مع الكفار بله من دونهم من المبتدعة والفسقة والفجار هي مسألة اجتهادية خاضعة لقواعد النظر والاستدلال وأن هذا من عمل العلماء وأن

للخلاف فيه مجال .. وأن تناول القوم لهاته المسائل لا يمت إلى فقه صحيح بصلة .. كما أنه لا يغير من حقائق الأمور شيئا ..

ثم لنهب أننا عاملنا القوم بقواعدهم، أفلا نجدهم أولى بتهمة الردة والعمالة من غيرهم بل وأولى من تركيا وقطر ..؟

فحين يأتينا صاحب دعوى الإقرار الخطير بمثل تلك الشهادات ليثبت عمالة النصرة للمرتدين -على حد فهمه-. أفلا يعلم أن ما عند خصوم خلافته من الوقائع والشهادات الموثقة؛ قد بلغ مبلغ التواتر على أن خلافتهم المزيفة مستعدة للتعامل ولو مع الشيطان لأجل مصالحها؟!

ودع عنك القرائن والأمارات التي إن دلت فلا تدل إلا على خبث سياسة القوم التي طالما كانت رقما حاسما إلى جانب بشار وإيران والغرب في طرفي معادلة الصراع ..! [٢]

وها أنا الآن أتحدى مدعي الإقرار الخطير وأضرابه من كتاب "دولة الخلافة" .. أن يبرزوا لنا -ولو دليلا واحدا- في موالاة من ذكرهم من الفصائل الإسلامية للكفار؛ موالاة مكفرة منضبطة في مناطها .. أما مجرد الدعاوى فعندنا منها ألوف تدين خلافتكم المزعومة! ..

أما صحونة القوم -ومنهم مدعي الإقرار الخطير- للفصائل لمجرد رفضها أو قتالها لخلافتهم المزيفة، فهذا منطق نازي فاشي بحت، ولا علاقة له لا بكتاب ولا سنة ولا أصل فقهي ولا استدلالي، وهو أفضح لغلوهم وأظهر في بعدهم عن منهج أهل السنة والجماعة في التصنيف والحكم على الطوائف والأعيان، وقد استفاض دحض العلماء لهذا "اللعب"؛ ما يغنينا عن إطالة الكلام فيه، والحمد لله ..

---

٢ (راجع مثلا: jaraem.k-alfasad.cf/)

إذا تم ما تقدم .. تبين أن جيش الفتح من حيث أفراد تكويناته ومضمونه وظروفه وملابسته وسياقاته، لا يكون إلا خطوة مباركة في الاتجاه الصحيح، وذلك بشهادة الشرع والعقل والفطرة والعادة والواقع ..

وقلت بشهادة الواقع .. لأن المادة الثامنة من ميثاق جيش الفتح تنص صريحا على رفض أي من الفصائل البراغماتية التي لا تعلن مشروعا إسلاميا ولا علمانيا فكيف بمن تعلنه علمانيا بحتا ..!!

فجيش الفتح واجب شرعي أولوي؛ لا يستنكف عنه أو يمجه إلا بليد جاهل بالشرع ومقاصده أو حاسد مغرض لا يريد الخير لأهل الشام ..

كذا فإن مباركة الشيخ أبي مصعب –حفظه الله– للمشروع هي استجابة شرعية طبيعية لأي مسلم بله قائد يهمه أمر الإسلام والمسلمين بأرض الشام ..

وما ساقه صاحب المقال من عمومات ومجملات وإطلاقات مشحونة بالإرهاب الفكري ليدعم بها زعمه، ويوهم بأن الشيخ أبا مصعب يؤيد العلمانية والصحوجية والديمقراطية، فتلك مجرد دعاوى تمثله وحده ولا ترقى إلى مستوى الاحترام، فضلا عن أنها لا تنطلي إلا على سفيه لا يدري ما يدور حوله .. كما أن فيما تقدم أعلاه كفاية في تمييز الغث من السمين في دعاواه، لمن كانت له آلة تمييز .. وبالله التوفيق.

بقي لي وقفات مع طرقه المبهت لموضوع وثيقة الأزواد وهي القشة البالية الوحيدة التي أبى صاحب المقال إلا أن يتشبث بها كوثيقة رسمية تدل على انحراف قاعدة المغرب، فأقول وبالله أستعين:

أولا: أين هي عبارة "مد يد العون للمنحرفين وأعداء الدين" ..؟ فلو قرأ عامي هذا الكلام لظن أنه صحيح .. وهكذا ظللتم تحملون العوام على دعاوى من نسج غلوكم وفهمكم السيء ..

ثانيا: وثيقة أزواد لم تتضمن ما يفيد أن تنظيم قاعدة الجهاد ببلاد المغرب الإسلامي عقدت حلفا مع علمانيين .. وإن كان ليس جرما أن تعقد حلفا مستوفيا لشروطه من حيث السياق والمضمون، كما تقدم ..

وأن يخالف أحد في هذا من باب المصلحة والمفسدة ومراعاة الحال والظرف أو من باب التحفظ على بعض الجزئيات والتفاصيل من الناحية الشرعية، فهذا لا يخرج بالمسألة من كونها فقهية لا دخل لها بأصول الدين .. كما تقدم أعلاه .. ولو جاء صاحب المقال من هذا الباب لرحبنا به ولنحى إليه كلامنا منحى آخر، لكن أن يدخل علينا من باب التبديع والتكفير والبهتان، فهذا ما لا نسكت عليه ..

ثالثا: وثيقة آزواد جاءت في غاية الوضوح في أن هدف قاعدة المغرب الإسلامي هو تطبيق الشريعة الإسلامية، وأن قبولها التعاون في إدارة المنطقة مع من يسميهم صاحب المقال "أعداء الدين" ولا نسلم له بذلك، كان في إطار محدود بالشريعة الإسلامية، وكان لذلك دوافعه ومبرراته الشرعية والسياسية والاجتماعية والأدبية، والتي أتت الوثيقة على شيء مفصل منها.

رابعا: ثم إنه لم يحدث -إطلاقا- أن تحالفت قاعدة المغرب مع حركة الازواد "MNLA" وهي مقيمة على مذهبها العلماني، لم يقع ذلك تماما .. وإنما الذي حدث والشواهد التاريخية والوثائق الرسمية تثبته هو:

أن طائفة من قادة حركة الازواد الذين كانت بيدهم زمام الأمور، أرادوا -بحكم ما تمتلكه حركتهم من ثقل في المجتمع الأزوادي- أن يركبوا موجة الانتصارات والفتوحات التي امتن الله بها على المجاهدين والشعب الأزوادي المسلم، فتحدثوا إلى المجاهدين برغبتهم في مشاركتهم إدارة المنطقة، فبمجرد أن عرفهم المجاهدون بما هم مقيمون عليه من أهداف ومبادئ كفرية، أظهروا توبتهم إلى الله وإذعانهم لشريعته، وأثبتوا ذلك بقبولهم الانضمام مع الإخوة في الحلف المشار إليه في وثيقة آزواد والذي نص في هرم بنوده -التي لا تقبل النقاش- على أن الكتاب والسنة هما المصدر الوحيد لدستور الحكومة المؤقتة، وعلى هذا انعقد الاتفاق ..

وهذا محل الشاهد من مرسوم ميثاق التعاون الرسمي، وقد تحصلنا عليه من مصدره الموثوق:

(فإن الطرفين :

....

٢ - يلتزمان بالعمل على إقامة و بناء دولة إسلامية في أزواد ، تحكم الشريعة الإسلامية في جميع مناحي الحياة ، منهجها القرآن الكريم و السنة النبوية على نهج السلف الصالح .

٣ - يقرران اندماجهما من أجل المصلحة العليا للإسلام و المسلمين في الأرض الأزوادية.) انتهى من نص الوثيقة الرسمي.

(وراجع أيضا وثيقة أزواد المنشورة عن مؤسسة النخبة)

خامسا: أما ما صدر من قادة الحركة بعد ذلك من انتكاس فهذا طارئ لا يلزم قاعدة المغرب تحمله لا في السابق ولا في الحاضر ..

ومزيدا في توضيح هذه القضية؛ فهذه شهادة لأحد قيادات الصف الأول بتنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي:

(لم يكن لقاعدة الجهاد في المغرب الإسلامي أي تحالف مع حركة أزواد العلمانية.

نتحدى أي باحث منصف يثبت هذا من جهتنا أو جهة حركة أزواد

حركة أزواد العلمانية انهارت أمام فتوحات قاعدة الجهاد وأنصار الدين

بدأ شبابها يلتحق بنا بالعشرات لما رأوا عدل المجاهدين وسيرتهم وتقسيمهم للغنائم

خافت قيادة حركة أزواد العلمانية على كيانها فلم تجد إلا ركوب موجة الانتصارات

جاؤوا إلى القادة هناك وطلبوا منهم اللحاق بهم

اجتمع بهم القادة وبينوا لهم هدفهم(تطبيق الشريعة) وبينوا لهم شروط التوبة فوافقوا بالإجماع وأعلنوا توبتهم

وقالوا بالحرف الواحد(ما عندنا أي عداوة ضد الشريعة.. نحن مسلمون)

بهذا الشرط قبل المجاهدون دخولهم معهم بعدما تبرأوا من العلمانية ومن قيادتهم العليا المتواجدة بفرنسا.

بلغ القيادة العليا بفرنسا الخبر فانتفضت علبهم وقالت لهم هذا مشروع القاعدة وليس مشروعنا

خرج معظم من دخل من القادة مع القاعدة وأنصار الدين وبقيت قلة قليلة .

عادت حركة الأزواد إلى مشروعها وواصل المجاهدون مشروعهم وتطبيق الشريعة في أزواد ولم يتنازلوا قيد أنملة والحمد لله رب العالمين.

هذه الشبهة تولى كبرها المنشقون عن التنظيم وكانوا على علم بالموضوع قبل خروجهم وتفاصيله ولم يسجل لهم إنكار ولا موقف.

اتخذوها ذريعة لخروجهم ونقضهم البيعة والتلبيس على الشباب في المغرب الإسلامي وخارجه.

نجدد التحدي للطاعنين لإثبات أي تحالف مع حركة أزواد العلمانية أو غيرها بالمفهوم المعروف للتحالف.

نذكر كاتب المقال بموقفه بين يدي الله وسؤال الفاتحين في أزواد الذين اختاروا المنية على الدنية واختاروا العودة إلى الجبال والصحاري على التنازل قيد أنملة عن الشريعة.

نذكر أنصار المجاهدين عامة وأنصار جماعة الدولة خاصة بأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا... فاتقوا الله في أنفسكم (واذكروا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) والحمد لله رب العالمين.

خاتمة؛ نسأل الله حسنها:

الغلو جادة الزوال والمروق عن الدين .. لعلهم يرجعون

نحن دائما نقول أن أمر الفتن عجيب، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول: (لا تحسبوه شرا لك بل هو خير لكم. لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم) ..

وجبهة الجزائر كانت من أعظم الجبهات عرضة للفتن .. وذلك لأسباب يطول المقام بتقصيها .. حتى أنها صارت عبرة للمعتبرين .. وامتلأت بالتذكير بها نصائح العلماء والدعاة والقادة .. لكنها من جانب آخر أفرزت منتجات غاية في الجودة والإيجابية، لمصلحة المشروع الجهادي العالمي، ومن تعامل مع عقول جبهة المغرب الإسلامي أدرك ذلك .. وهذا من فضل الله على عباده ..

فالفتنة ابتلاء .. ابتلاء للعلم والفهم، كما هي ابتلاء للصبر والتقوى .. فهذا داء الغلو كان كامنا في أفهام القاعدة العريضة للجهاديين .. ولم يكن ليشعر به أحد خلا أفراد العلماء والمفكرين لولا فتنة الخلافة المزيفة .. بل وأستطيع أن أجزم أنه لو حصل لكثير من جماعات الجهاد تمكين جزئي ولم تكن تحفهم نصائح العلماء والمراقبين لوقعوا فيما وقع فيه تنظيم الدولة وربما أكثر ..

وكمثال حي على ما أقول .. فبعد انتشار وثائق آبوت آباد .. لم يعد يخفى قارئا أن مشايخ القاعدة الكبار كانوا يتحفظون من بعض خطابات الشيخين الشهيدين -كما نحسبهما- أبي عمر البغدادي وأبي حمزة المهاجر رحمهما الله، التي كانت تلقى منا ترحيبا وقبولا يخون معه الاعتراض! ..

وجل تحفظات المشايخ وعلى رأسهم الشيخ الملهم عطية الله رحمه الله كانت عن تخوف من الغلو والتعمق في الدين ..

وما خفي من الوثائق أعظم وأوضح في بيان هذه الحقيقة ..

وهذا ليس إسقاطا لقيمة ورمزية الشيخين أبي عمر وأبي حمزة؛ كلا، فهما قمتان في الأدب والورع والفضل .. وإنما مزيد بيان لحقيقة أن الغلو كان أحد المكونات الخفية في العقل الجهادي المعاصر، وأنه أمر لم يسلم منه إلا أفراد عقلاء وحكماء الجهاديين .. وأن تمسح حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، بقاعدة أسامة ظلم لها، وهي منهم براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب ..

القصد من هذا الكلام .. هو أن يستشعر هؤلاء الدولاويون -إن كان فيهم بقية من شعور- أن الله قد جعل كيدهم في نحورهم، فهم ينتجون يوميا عشرات المقالات وأشباه التأصيلات ليقولوا للناس أن قاعدة الظواهري هي المنحرفة، إذ تزعم أننا غلاة .. فإذا بالقاعدة تزداد يقينا بأن القوم غلاة، وإذا بالناس يقولون صدقت القاعدة وصدق علماؤها ..

بل وأزيد من الشعر بيتا .. لا أستغرب أن يأتي يوم يلتف فيه الغلاة على الشيخ أسامة، كما التف غلاة الهجرة والتكفير على شيخ الإسلام بن تيمية .. وما ذلك إلا لوصولهم إلى مفترق طرق لا بد لكل غال وصوله، لما يتوهمون من تعارض بين كلام الشيوخ .. فإما رجوعا إلى الحق وإما مضيا على جادة الزوال والمروق عن الدين ..

وصل اللّهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

وكتب:

صالح باي الجزائري

كان الله له ولطف به

أحد مجاهدي تنظيم قاعدة الجهاد ببلاد المغرب الإسلامي.

AL-HUSĀM MEDIA